مقدمة

أمضيت ثمانية عشر يومًا في ميدان التحرير؛ أشهد مصر الجديدة التي رسمها الثوار، أشهد بعيني وأسجل أحداثًا سيكتبها التاريخ بحروف من نور، ألمس حراكًا جديدًا، وأستطلع ثورة حقيقية قوامها شباب ظلمه الواقع وشيوخٌ كانوا خير دعم.

ما حدث في ميدان التحرير وكل ميادين مصر هو انقلاب في المفاهيم، فلم يعد شباب الفيس بوك قوة مهمشة تتجادل في أحقية عمرو دياب بلقب الهضبة أو تامر حسني بلقب نجم الجيل، لم يعد النقاش مقتصرًا على أيهما أحرف أبو تريكة أم شيكابالا، توارت الرسائل الرومانسية والعاطفية، وشكلت حركة ٦ أبريل وخالد سعيد وشباب الإخوان والوفد والجبهة الوطنية للتغيير وجدان الشباب الذي ثار.

خرجنا لنستنشق رحيق الحرية، انهار جدار القلق الأمني، وعبر المصريون الخط المنيع المسمى قديمًا "الخوف". لم تثبت النظرية الأمنية نجاحها بل أثبتت نظرية الحق في التعبير والإصلاح والتغيير قوتها، فهتف من هتف وصمت من صمت.

أمضيت أيامًا هي الأهم في حياتي، تحت وابل القنابل المسيلة للدموع والطلقات المطاطية والرصاص الحي أحيانًا، واجهتُ ورصدتُ أعنف مواجهات شهدها الشارع المصري، ويا ليتها مواجهات كلامية وفكرية فقط؛ بل كانت مواجهات بالأيدي والأسلحة والبغال والنوق والخيول.

شعرتُ بالخوف والقلق على حياتي وحياة من كانوا بجانبي، لكني كنت مطمئنًا لأن مصر تغيرت، نعم هي تتغير الآن وقت كتابتي لهذه السطور، تتغير بسرعة لم نعهدها في العصر الحديث، وعلينا أن ننتظر لنجني ثمار التغيير.

كنتُ شاهدًا على نجاح الشرطة في تفريق المتظاهرين يوم ٢٥ يناير بوابل من القنابل المسيلة للدموع وخراطيم المياه والهراوات من الساعة الثانية عشرة ليلاً إلى الساعات الأولى من صباح اليوم الذي تلاه.. كنتُ شاهدًا على هروبهم يوم ٢٨ يناير ونزول مدرعات ودبابات القوات المسلحة، صرخت مع الصارخين "الجيش والشعب إيد واحدة".. شاهدت بعيني أخطر المواجهات التي كانت أمام وزارة الداخلية وبالقرب من مديرية أمن القاهرة وبالتحديد بالقرب من سجن الاستئناف.. أكلت من صينية مكرونة بالبشاميل وشربت من زجاجات المياه الغازية التي كانت هدية أهالي الحي لإحدى اللجان الشعبية.. شاهدت بعيني مخبوزات وبقسماط وعلب مياه غازية توزع علينا والمصدر ليس جهات أجنبية أو إخوان أو أصحاب

أجندات كالتي أنهالت على أفواه إعلاميّ التليفزيون المصري، المصدر هو سلوك جمعي يفعله المصريون وقت الشدائد.

جلستُ وسط الجموع نتناول الأحاديث والنكات والقفشات، نتأمل صور الشهداء التي انتشرت في أرجاء المكان، بكينا وغنينا وضحكنا، حتى مع دخول الباعة بعربات الفيشار والبطاطا وعلب الكشري، والغزو الكبير لباعة الأعلام وستيكرات تحمل صور الشهداء، صيدليات ومستشفيات .. بطاطين وحمامات .. صلوات للمسلمين والمسيحيين...
كل هؤلاء صاغوا مجتمعًا صغيرًا هو دولة التحرير.

انتصرت إرادة الشعب وأسقط النظام، انطلقت بشائر النصر من تونس إلى مصر وعمّت أرجاء الوطن العربي، خرج الجميع يحتفلون بتغيير سلمي صنعه شباب ٢٥ يناير، خرج الطفل والشاب والكهل ليعبروا عن انتصار إرادة المصريين، أبكاني الرئيس الأمريكي باراك أوباما عندما قال في ليل جمعة تنحى حسنى مبارك: إن الشعب المصري ألهمه كيف يكون التغيير بالأسلوب السلمي، وأن لغة العنف لم تعد مجدية.. أبكاني بكلماته العاطفية عندما مدح شباب الثورة وكيف كانوا يصرخون أمام سيل القنابل والعصي والرصاص "سلمية .. سلمية".

أحمد الله أنني شاهدت الانتصار بعيني في ميدان التحرير الذي اعتبرته منزلي طوال أيام الثورة، الأيام التي شهدت فيها بعيني تغييرًا حقيقيًا في سلوك المصريين وأدمغتهم..

أحمد الله أن دماء الشهداء التي سالت أمامي لم تذهب هدرًا، فقد تنحى مبارك وذهب رأس النظام، وما زال أفراده يذهبون واحدًا تلو الآخر.

أصبحت مصر وطننا الذي نتمناه، إنها مصر "الجديدة" التي نستنشق الآن هواها المفعم برياح الحرية التي ضربتنا، ونسيم التحرير مازال يملأ سماءنا..

إنها أيام الحرية في ميدان التحرير، كنت شاهدًا عليها..

والله على ما أقول شهيد.

obeikandl.com